

ثورة الأمير عبد المالك الجزائري 1915 – 1924

محمد حواس¹

mohammed.houas@univ-dbk.m.dz

تاريخ الإرسال: 2022 /08/20 تاريخ القبول: 2024/01/15

The revolution of al'amir Abdul Malik Al-Jazaery 1915-1924

Abstract: The subject includes the revolution of Emir Abd al-Malik al-Jaza'iri (son of Emir Abd al-Qadir) in Morocco, which was associated with the First World War. Its elements came sequentially and gradually according to its course. Whether by getting to know Prince Abdel Malik in terms of birth, upbringing, and military training. Then the circumstances in which he moved to Morocco in 1903. And the most important stations he went through before announcing the revolution at the end of 1914 and the beginning of 1915. Which is represented in his contribution to both the resistance of Sheikh Bouamama and Al-Jilali bin Abd al-Salam al-Yousifi al-Zarhoui, known as "Bouhamara" in Morocco . Then he joined the Azizi store and his opponent Al-Hafezi. And the circumstances that made him the chief of police in the city of Tangiers of the international system, Then the most important stations this revolution, whether military (Battle of Casablanca of 11/1914 and the Battle of Souk al-Hid 01/1916, the Battle of Taza 04/1917, and the Battle of Azib Maydar 08/1924), were also discussed. And we tried as much as possible to show through this study another axis through which some Moroccans tried to liberate their countries, which is "Berlin, Madrid, Tangier", which does not explain the German-Ottoman role in this revolution by supporting it financially and in the media. The study also included the estrangement that occurred between Muhammad ibn Abd al-Karim al-Khattabi and Abd al-Malik, which ended tragically in 1925 with the killing of Abd al-Malik and the end of his revolution.

Keywords: al'amir Abdul Malik al-Jaza'iri; Battle of Taza ; World War I; The Maghreb dimension of the Algerian struggle; Wolf.

الملخص:

يتضمن الموضوع ثورة الأمير عبد المالك الجزائري (ابن الأمير عبد القادر) في المغرب الأقصى التي ارتبطت بالحرب العالمية الأولى . جاءت عناصرها متسلسلة و متدرجة حسب مسارها .سواء من خلال التعرف على الأمير عبد المالك من حيث الولادة و النشأة و التكوين العسكري. ثم الظروف التي انتقل فيها إلى المغرب الأقصى سنة 1903 . و أهم المحطات التي مر بها قبل إعلان الثورة في نهاية 1914 و مطلع 1915. التي تتمثل في محاولته الالتحاق بكل من مقاومة الشيخ بوعمامة و الجيلالي بن عبد السلام اليوسفي الزرهوني المعروف بـ"بوحمارة" في الحدود الغربية للجزائر. ثم انضمامه للمخزن العزيزي، و خصمه الحفيظي. و الظروف التي جعلت منه رئيس الشرطة في مدينة طنجة ذات النظام الدولي. ثم تم التطرق لأهم محطات هذه الثورة سواء العسكرية (معركة الدار البيضاء 11 / 1914 و معركة سوق الحد 01 / 1916 معركة تازة 04 / 1917، معركة عزيز ميسار 08 / 1924) كما تم التطرق لعلاقة الأمير عبد المالك مع ابن اخيه الأمير خالد . و قد حولنا قدر المستطاع ان نبين من خلال هذه الدراسة محورا آخر حاول من خلاله الجزائريون تحرير بلدهم و هو "برلين ،مدريد، طنجة" و هو ما بين الدور الألماني/ العثماني في هذه الثورة من خلال تدعيمها ماديا و إعلاميا. كما تضمنت الدراسة قضية القطيعة التي حدثت بين الأمير عبد المالك الجزائري ومحمد بن عبد الكريم الخطابي و التي انتهت بصورة مأساوية سنة 1925 بمقتل عبد المالك و نهاية ثورته.

الكلمات المفتاحية: الأمير عبد المالك الجزائري؛ معركة تازة؛ الجزائر أثناء الحرب العالمية الأولى؛ البعد المغاربي للكفاح الجزائري؛ وكالة وولف؛ الأمير خالد الجزائري

مقدمة:

تعتبر ثورة الأمير عبد المالك الجزائري (ابن الأمير عبد القادر) في المغرب الأقصى بين سنتي 1915 و1924 نموذجا قائما بحد ذاته للمقاومة الوطنية الجزائرية خلال الحرب العالمية الأولى، فإذا كان بعض الجزائريين المهاجرين حاولوا عبر محور "برلين- إسطنبول" استغلال الحرب العالمية الأولى لصالح الجزائر المستعمرة (بفتح الميم) لتحريرها، فإن الأمير عبد المالك الجزائري حاول بثورته في المغرب الأقصى، وبالضبط في شماله في المنطقة الفاصلة بين النفوذ الإسباني والفرنسي، القيام بنفس المهمة، أي إشعال فتيل ثورة في المغرب الأقصى كجغرافية، ولكن أبعادها تجاوزت تلك الجغرافية، فأصبحت ثورة جزائرية/مغربية من خلال محور آخر تمثل في: "برلين - مدريد - طنجة" فمنذ أوت 1915 أعلن الأمير عبد المالك ثورة ضد فرنسا، بدعم مادي و إعلامي ألماني، انطلاقا من برلين بألمانيا، و مرورا بمدريد في إسبانيا كنقطة عبور، ووصولاً إلى تطوان و طنجة في المغرب الأقصى كمحطتين لإنزال هذا الدعم .

بالرغم من الغموض الذي تميزت به هذه الحركة، خاصة من حيث انطلاقتها، لقلة الوثائق والدراسات التاريخية الأكاديمية الخاصة بها، فإنه لا يمكن اعتبارها عفوية أو معزولة عن سياقها التاريخي، فقد ارتبطت أحداثها بما عرفه العالم الإسلامي عامة والمغرب العربي خاصة، بما فيه الجزائر، قبيل وأثناء الحرب العالمية الأولى، كانت ثورة الأمير عبد المالك الجزائري في المغرب الأقصى جغرافيا، بزعمة جزائرية أصيلة، من أجل تحرير منطقة المغرب العربي كاملة، مستغلة في ذلك ظروف دولية دقيقة تمثلت في الحرب العالمية الأولى، وليس من قبيل الصدفة أن تكون هناك علاقة مباشرة لهذه الثورة مع حركة الأمير خالد الجزائري (ابن أخ عبد المالك) التي عرفتها الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى، فقد اعتبر الأمير خالد حركته في الكثير من الأحيان امتدادا لما قام به عمه في المغرب الأقصى، ومستوحاة منها. بالإضافة إلى ذلك فهناك العديد من المؤشرات التي جعلت من ثورة الأمير عبد المالك حركة تحررية مغربية، مرتبطة بحركة جماعة المغاربة المهاجرين العاملين في إطار تيار الجامعة الإسلامية، والخطة

الألمانية العثمانية لإثارة المستعمرات الإسلامية ضد الاستعمارين
الإنجليزي والفرنسي (بلقاسم، 2013، صفحة 115).

1. نبذة عن حياة الأمير عبد المالك (1868 – 1924) :

الأمير عبد المالك هو الابن ما قبل الأخير للأمير عبد القادر (بلقاسم، 2013، صفحة 116)، ولد بدمشق سنة 1285هـ / 1868م. صدم في شبابه، و هو طالب بالكلية العسكرية بالأستانة، بفقدانه لوالده الأمير عبد القادر، فعاش يتيما في رعاية والدته الأذربيجانية الأصل التي حرصت كثيرا على تعويضه فقداً لوالده، نشأ و ترعرع في مدينة دمشق حيث زاول تعليمه الأول بها وتلمذ على العديد من الشيوخ والعلماء، أمثال الشيخ مصطفى التهامي شيخ المذهب المالكي في الجامع الأموي الكبير في دمشق، والشيخ الطاهر الجزائري (1852- 1920)، والشيخ عبدالرزاق البيطار (1837- 1916)، وتعلم إلى جانب اللغة العربية اللغتين التركية والفرنسية، كما عرف عنه تأثره الكبير بأفكار حركة الجامعة الإسلامية (عجيلي، 2005 ، صفحة 133)، وبالرغم من حبه لأرض الشام ومدينة دمشق على وجه الخصوص، فإنه كان له طموح كبيراً بمواصلة دراسته في المجال العسكري، فقد كانت الأكاديمية العسكرية بعاصمة الدولة العثمانية حلمه الكبير، و يبدو أن ذلك كان من أسباب حرصه على تعلم اللغة التركية، وحتى الفرنسية التي كانت لغة ثانية تدرس بها العلوم العسكرية بهذه الكلية (سعد الله، 1974، صفحة 54)، وقد تحقق حلمه بالالتحاق بها حوالي سنة 1881 (سعد الله، 1974).

ومنذ دخوله لهذه الكلية أظهر تفوقاً في كل مجالات الدراسة، عرف عنه أنه كان يتحدث كثيراً مع العديد من الأساتذة الأكفاء في مختلف العلوم العسكرية، ولكن هذا التكوين العسكري لم يبعده عن أصالته وبعده الحضاري، من خلال متابعته لقراءة العلوم الدينية من تفسير للقرآن ولكتب الحديث النبوي، والعديد من المصادر الأساسية لعلوم الدين، فقد كانت إدارة الأكاديمية العسكرية تكتب تقاريراً دورية عن عبد

المالك بحكم انتمائته العائلي، حيث ذكرت هذه التقارير الوقت الطويل الذي كان عبد المالك يقضيه في مكتبة الكلية بعد نهاية الدوام الرسمي، و لوحظ أن العديد من الكتب التي كان يطلعها، بالإضافة إلى العلوم العسكرية، كانت حول تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي وغيرها من العلوم الدينية (سعد الله، 1974)، وليس من المستبعد أن تكون هذه التقارير قد وصلت إلى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني الذي سمع الكثير عن مآثر والده الأمير عبد القادر و تمسكه بالرابطة العثمانية ورفضه أن يكون ملكا على الشام بعد إخماده للفتنة الطائفية سنة 1860، فسأل عنه و قربه منه، وبادله عبد المالك نفس الشعور، فقد كان يكن له الكثير من التقدير والاحترام معتبرا إياه منقذا للعالم الإسلامي، وقد أدى هذا التقارب بينهما إلى إسناد السلطان عبد الحميد الثاني إلى عبد المالك رتبة عسكرية راقية تمثلت في " مقدم "، مع وظيفة " مساعد في معسكر السلطان " (سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ، 1830-1900، 1983، صفحة 243)، مما يعرف باللغة التركية بـ " ياورا " اي أحد قادة الحرس السلطاني (سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ، 1830-1900، 1983)، و لئن عبر هذا التقارب عن المكانة الرفيعة لعبد المالك لدى السلطان، فإنه في نفس الوقت عبر ذلك عن استعداد الأمير لخدمة الخلافة الإسلامية التي كانت تعيش أحلك أيامها، فقد كان وفاء الأمير للدولة العثمانية كاملا (سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ، 1830-1900، 1983).

وبالرغم من العلاقة الوطيدة التي كانت بين عائلة الأمير عبد القادر والدولة العثمانية، وتبادل المعاملات بمختلف أشكالها فإنه لم يكن يرغب في ربط علاقة عائلية مع العثمانيين، ولذلك خطب لابنه عبد المالك سنة 1882، وهو لا يزال طالبا في الكلية العسكرية بالأستانة، بنت نقيب الأشراف عبد الطيف العجلاني المسماة بالصادقة الأمينة، ثم زوجه بها في دمشق أشهر قبل وفاته سنة 1883، وبعد بقائها في الشام لفترة زمنية طلب منها الأمير عبد المالك الالتحاق به، خاصة بعد تحسن ظروفه المعيشية بتعيينه في منصبه الجديد في العاصمة العثمانية، حيث استقر مع عائلته في أحد القصور غير بعيد عن مضيق الدردلين،

وتعتبر هذه الفترة الوحيدة التي التأم فيها شمل عائلة الأمير عبد المالك قبل انتقاله إلى المغرب الأقصى سنة 1903، الذي كان مشروعا خفيا لعبد المالك ولم يصارح به أحد بالرغم من الاضطراب والقلق الذي كان يظهر عليه من حين لآخر وحديثه عن تحرير بلده الجزائر من السيطرة الاستعمارية (قاصري ، 2017، صفحة 23).

1. الأمير عبد المالك في المغرب الأقصى 1903 :

تميزت قصة انتقال الأمير عبد المالك للمغرب الأقصى بالغموض والمغامرة، ولا يمكن الجزم بتفاصيلها، سواء من حيث أسبابها أو مسارها وحتى الأماكن التي حل بها الأمير قبل وبعد وصوله إلى المغرب، فبعض المصادر تتحدث عن العلاقة السرية التي كانت بين الأمير وحركة الشبان الأتراك المعادية للسلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وعندما علم بها هذا الأخير فر الأمير عبد المالك خوفا من بطشه لأن حياته أصبحت في خطر، لذلك انتقل إلى مصر ومنها إلى طنجة بالمغرب الأقصى (Pierre ، 1979، الصفحات 179- 190). في حين تحفظت دراسات أخرى حول هذه المسألة مستندة على العلاقة الوطيدة التي كانت بين الأمير عبد المالك والسلطان عبد الحميد الثاني، وتواصلها حتى بعد انتقال الأمير إلى المغرب الأقصى، بالإضافة إلى التسهيلات التي قدمها السلطان له ولإخوته، خاصة الأمير علي باشا والأمير محي الدين باشا، وكذلك الأمر بالنسبة لمسار رحلته للمغرب الأقصى التي كانت هي الأخرى محل خلاف، بين من قال بانتقال الأمير عبد المالك من إسطنبول إلى دمشق ومنها إلى مدينة طنجة بشمال المغرب الأقصى مرورا بمصر سنة 1903 (بلقاسم، 2013، صفحة 116)، وآخرون من كان لهم رأيا آخر بين نزول عبد المالك مباشرة في مدينة فاس في داخل المغرب بدون إعطاء تفاصيل وصوله إليها، وذهب آخرون إلى نزول الأمير في مدينة مليلة في الشمال قبل انتقاله إلى فاس (قاصري ، 2017، صفحة 35)، إلا أن الرواية التي كانت اقرب إلى الصحة ذكرت أن رحلة الأمير عبد المالك من الدولة العثمانية إلى المغرب الأقصى كانت بمثابة مغامرة كبيرة فنتائجها لم

تكن مضمونة بالنظر للمخاطر التي تحملها عبد المالك للوصول إلى المغرب الأقصى، فمنذ ان وافق الأمير على طلب زوجته الذهاب للشام لزيارة عائلتها بعد غياب طويل بدأ في التخطيط لهذه الرحلة، و يبدو أنه كان على دراية دقيقة بأوضاع المغرب العربي حينها، فالجزائر بالنسبة له وقعت فريسة الاحتلال الفرنسي، والمغرب الأقصى القريب منها جغرافيا كان محل أطماع استعمارية، مكثفة فالتكاليف الاستعماري الأوروبي حينها أصبح واضحا، فقد ظهرت بما أصبح يسمى بـ "المسألة المغربية" التي يجب تصفيتا، بإخضاعه للاحتلال مهما كانت تسميته، سواء احتلال مباشر مثل الجزائر أو حماية مثل تونس، ولذلك اعتبر رحلته للمغرب الأقصى للدفاع عنه واجب شرعي و مقدس، ولا يمكن التهاون فيه، فخرج من بيته مباشرة بعد صلاة الصبح تاركا وراءه تلك القصور الفاخرة التي كانت في متناوله و تحت تصرفه، ولم يخبر حتى السلطات العسكرية العثمانية عن مشروعه، ولم يعلم بذلك المشروع حتى صديقه السلطان العثماني، واتجه عبر البحر صوب الساحل المصري متخفيا تارة، و متتكرا في زي تاجر جوال تارة أخرى، وعندما شعر بخطورة مواصلة ذلك عن طريق البحر، اتجه نحو تونس عبر الصحراء الليبية متحملا من الصعوبات ما لا يخطر على بال (الأميرة بديعة، 1997، الصفحات 173-174). (التعليق i).

و عموما بقيت تفاصيل رحلته إلى المغرب الأقصى غير معروفة، فقد اختلفت الدراسات التي تناولت هذه الحركة حول مسارها بين من يعتبره كان عن طريق البحر، حيث كانت الرحلة من تونس إلى الساحل المغربي بنفس الهيئة التي جاء بها إلى مصر، أي كتاجر جوال، وهناك من اعتبر رحلته برية أي مرورا بالجزائر، إلا أن هذه الرواية الأخيرة لا يمكن اعتمادها نظرا لطبيعة الرجل الذي كان من أبناء الأمير عبد القادر حيث كانت عائلته تحت المراقبة الدقيقة، وما كان بإمكان أي أحد من أبنائه المرور إلى الجزائر برا ومنها إلى المغرب الأقصى، فتجربة أخيه الأمير محي الدين مازالت راسخة في الدوائر الاستعمارية الفرنسية (سعدالله، 1998)، في جميع الأحوال فإنه ابتداء من سنة 1903 ظهر الأمير عبد المالك في المغرب الأقصى بمدينة فاس، وعلى

عكس تخفيه أثناء رحلته من إسطنبول إلى المغرب، فإنه بدأ في التعريف بنفسه في هذه المدينة من خلال التحدث مع سكانها، ووصل الأمر حتى مراسلة السلطان المغربي عبد العزيز من أجل زيارته والتعرف عليه، وقد ظهر من خلال المراسلات التي كانت بين الأمير وعائلته بالشام أن تفاعلا كبيرا حدث بينه وبين المخزن العزيمي حتى أن هذا الأخير تكفل بمصاريف إقامته في المغرب، و عرض عليه منصبا عسكريا هاما إلا أن الأمير كان مترددا بين قبوله و رفضه، لأن السبب الحقيقي من رحلته للمغرب كان بعيدا عن المناصب والمراكز التي تخلى عنها في إسطنبول، و قد كانت أكثر علوا وقيمة مما عرض عليه في المغرب، و لذلك رفض هذه العروض في أول الأمر، ولكنه في مقابل ذلك وبحثا عن مجال آخر للتعبير عن مكنونه الداخلي حاول الانضمام إلى مقاومة الشيخ بوعمامة التي كانت تعرف أواخر أيامها في واحة فقيق في الجنوب الغربي (التعليق ii) (بن منصور ، 1979 ، الصفحات 320-323)، وبقي يبحث عن شخص آخر يمكن ان يحمل معه لواء المقاومة فوجد ذلك في الثائر المغربي الجيلالي الزرهوني الملقب بـ"بوحمارة" (Laroui ، 2009 ، صفحة 354)، حيث مكث مدة في هذه المقاومة، وكان له دورا كبيرا في تحقيق عدد من الانتصارات، وصل به الأمر إلى حد قيادتها بعد إصابة قائدها بوحمارة بجروح خطيرة (بن منصور ، 1979 ، صفحة 321) لكن الأمور تطورت فيما بعد بشكل غير منتظر فقد انضم الأمير إلى المخزن العزيمي بعد أن كان محاربا له، وأصبح قائدا عسكريا في محلة السلطان العلوي، حيث أصبح له مقاما رفيعا عند السلطان عبد العزيز، ويعتبر ذلك من المفارقات الغريبة التي حولت الأمير من محارب للسلطان إلى مساند له، وأكثر من ذلك فقد كان من وراء العديد من الانتصارات التي حققها عبد العزيز في عدد من الأقاليم مثل الشاون، وأصبح قائدا لجيشه أثناء صراعه مع أخيه عبد الحفيظ، و لذلك وقع أسير في إحدى المعارك ليس لانهماه عسكريا، و لكن بعد خيانتة من طرف المخزن العزيمي نفسه، وهو ما شكل نقطة تحول في مسار الأمير عبد المالك في المغرب الأقصى (قاصري ، 2017 ، صفحة 63)

فبعد سجنه، وبعد أن فشل عمه الأمير خالد الذي كان متواجدا في المغرب حينها في إطلاق سراحه (الأميرة بديعة، 1997)، بدأ الأمير في البحث عن منفذ آخر لقضيته، وفي نفس الوقت عن مجال آخر يتحرك فيه لتحقيق مشروعه، فوجد في فرنسا طرفا يمكن استغلاله في تلك الظروف فطلب منها التدخل لدى السلطان عبد الحفيظ لإطلاق سراحه من خلال رسالة بعثها إلى وزير الخارجية الفرنسي "موريس روفيه" *Maurice Rouvier* تضمنت التدخل لصالحه بإطلاق سراحه بحكم انتمائه لعائلة الأمير عبد القادر، وحتى فرنسا بقيت تعتبر نفسها معنية بمصير هذه العائلة. ومن جهة أخرى فإن قضيته طرحت في مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906، وجاء اسمه حينها كرئيس للشرطة السلطانية في مدينة طنجة التي جعل منها هذا المؤتمر منطقة مفتوحة للتنافس الدولي، من خلال تدويل المرافق العامة المغربية واخضاع سلطة الحكومة المغربية عليها لرقابة دولية، وهو ما اعتبر بدايات سياسة التدبير المفوض في المغرب (Assayag، 1978، صفحة 27).

يبدو أن هذه العوامل كلها كانت لصالح الأمير عبد المالك، فبالفعل تدخلت فرنسا لصالحه عن طريق وزيرها المفوض في مدينة طنجة "أوجين رينبولت" *Eugène Regnault*، الذي قدم ملفه للمخزن الحفيظي على أنه رعية فرنسي (أمطاط، 2010، صفحة 138)، ومن خلال المحادثات التي قام بها المفوض الفرنسي فإن ورقة الأمير كانت ضمن ملف اعتراف فرنسا بسلطة السلطان مولاي عبد الحفيظ بعد انتصاره عسكريا على أخيه عبد العزيز (أمطاط، 2010، صفحة 139)، ولذلك قبل بهذه الصفقة بل أكثر من ذلك قام بتعيينه نائبا لوزير الحربية، ثم رئيسا للشرطة الدولية في مدينة طنجة في سنة 1909، كما طلبت بذلك فرنسا (سعد الله، وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب، 1974، صفحة 54). وفي سنة 1910 طلب الأمير عبد المالك من عائلته الالتحاق به في مدينة طنجة تعبيراً عن حالة الاستقرار التي دخل فيها بعد أن تقاذفته الأمواج من طرف إلى آخر، ولكن في نفس الوقت فإن الفترة الممتدة بين 1909 و 1914 استغلها

الأمير في تحضير المرحلة الحاسمة في حياته وهي مقاومته لفرنسا، بالرغم من أنه أظهر فيها ولاءه المطلق لها، و لم يتردد في إرسال برقية تأييد و دعم للرئيس الفرنسي عند اندلاع الحرب العالمية الأولى (التعليق iii)، و في جميع الأحوال فإن أخباره انقطعت و لم يعد يذكر في التقارير الفرنسية و حتى الشريفة إلا بكونه رئيسا للشرطة في مدينة طنجة ووفيا لفرنسا إلى غاية إعلان الثورة عليها في نهاية 1914 ومطلع 1915، لذلك يمكن القول أنه تعمد في هذه الفترة إتباع هذه السيرة و التظاهر بالولاء حتى يتسنى له الوقت للقيام بالتحضيرات الضرورية للقيام بهذه الثورة (سعد الله، وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب، 1974).

لقد سمح المنصب الجديد للأمير عبد المالك في مدينة طنجة القيام بالكثير من الاتصالات السرية مع القبائل المغربية للحصول على الدعم لمشروعه الذي جاء من أجله من الأستانة، وأراد تجسيده من خلال مشاركته في مقاومتي بوعمامة وبوحمارة، وكذلك من خلال الانضمام للمخزن العزيزي، ولكن ذلك لم يأت بأية نتيجة لأن الأمير عبد المالك كان في كل الحالات تابعا لحركة أخرى اتفقت معه في الوسيلة، ولكنها اختلفت معه في الهدف، وحتى من حيث المضمون، وكذلك في الأبعاد التي كانت بالنسبة لعبد المالك إقليمية و دولية، بحكم تكوينه العسكري و السياسي في إسطنبول، حتى أنه في العديد من المرات كان ضحية مناورات ضيقة ارتبطت جلها بمسألة الزعامة، التي دفع بسببها ثمنا غاليا، فقد تأمر عليه من كان يدافع عنهم، مثلما حدث له مع مقاومة بوحمارة والمخزن العزيزي، إلا أن فطنته، و خبرته العسكرية، وحنكته السياسية وبعد نظره، جعلته يوظف المعطيات الإقليمية لصالحه من خلال استعمال المشروع الفرنسي في المغرب الأقصى لصالحه سواء من خلال الاتصال بباريس لإنقاذه من المخزن الحفيظي، أو حتى عندما استغل منصبه العسكري/السياسي في مدينة طنجة لتحضير الثورة ضد فرنسا نفسها، فهو نفسه عاش أحداث المشرق العربي والقضية المغربية (المغربية) (بلقاسم، 2013، صفحة 118) ، وكان مؤمنا بالجامعة الإسلامية، وبفكرة "الجهاد المقدس ومتعلقا بفنائل أجداده" (سعد الله،

الحركة الوطنية الجزائرية ، 1830-1900، 1983، صفحة 243)، ولذلك أراد أن يلعب دورا من الدرجة الأولى في الحوادث التي كانت تجري في العالم الإسلامي عامة، وفي أقصى غربه خاصة (سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ، 1830-1900، 1983)، فهناك الكثير من العناصر التي كانت لصالحه، منها ماضي أسرته التاريخي، وتعلمه في الشرق الأدنى خلال عهد النهضة العربية وتدريبه العسكري، وممارسته في الجيشين العثماني والمغربي والشرطة في مدينة طنجة، ثم معرفته العميقة بأبعاد المسألتين الشرقية و المغربية، كل هذه المعطيات زودته بمعرفة كاملة لمشاكل وقته (سعد الله، وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب، 1974، صفحة 54).

2. مسار ثورة الأمير عبد المالك 1915-1924:

اعتبر الأمير عبد المالك تعيينه رئيسا لشرطة طنجة وسيلة لمشروع انقلابي في المنطقة المغاربية، لا غاية في حد ذاتها، فحتى طبيعة المنصب لم تكن تتماشى مع مؤهلاته العسكرية، وحتى مع وظائفه السابقة سواء في الدولة العثمانية، أو في المخزن العزيري، ولم يتردد عدة مرات في التصريح بأن منصبه في طنجة لا يتماشى و مقامه، واعتبره مساس بهيبته (سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ، 1830-1900، 1983، صفحة 239)، إلا ان قبوله به و تظاهره بخدمة المصالح الفرنسية و الشرفية في طنجة كان من أجل تحضير الظروف المادية و المعنوية لحركته، فقد كان مستقرا في مدينة ذات نظام استثنائي وفر له الكثير من الظروف لتحضير ثورته ما كان له ان يوفرها في مدينة اخرى (سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ، 1830-1900، 1983).

لقد كانت المدينة بمينائها وكثافة أنشطتها البحرية العالمية مفتوحة على كل التيارات العالمية، فمنذ مطلع القرن 20 أصبح "المغرب المريض" مقصدا لكل القوى الإقليمية التي كانت ترى في نفوذها فيه

من مظاهر القوة في البحر الأبيض المتوسط. كما كان للانتماء العائلي لعبد المالك وزنا كبيرا في حركته، فعائلة الأمير عبد القادر كانت بالنسبة للجميع ذات نفوذ وصيت في العالم العربي الإسلامي، وفي هذا السياق اقتربت باريس من أحد أبناء الأمير عبد القادر وهو عمر باشا الذي استقبلته في باريس بكل البروتوكولات التي يستقبل بها الرؤساء والملوك، وكذلك الأمر بالنسبة للأمير علي باشا الذي حظي بالترقية في الدولة العثمانية إلى نائب رئيس المجلس الوطني (الأمير محمد سعيد ، 1918، صفحة 29)، وهو الذي أصبح فيما بعد متحدثا باسم شقيقه الأمير عبد المالك، و موضع سره هناك (الأمير محمد سعيد ، 1918)، وفي خضم هذه التجاذبات والاستقطابان لمختلف الرموز، التي كان لها تأثيرا في المغرب سلطة ومجتمعاً، دخلت القوة الألمانية على الخط لتبحث هي الأخرى عن مكان لها في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وقد كانت المسألة المغربية جد مناسبة لتحقيق ذلك، كما كانت مدينة طنجة مجالا استراتيجيا مناسباً للبروز كقوة إقليمية أورو/متوسطية، ورأت في الأمير عبد المالك شخصية مناسبة لتحقيق اهدافها الاستراتيجية، خاصة كان له استعداد لذلك فمصلحة كلا الطرفين تلتقيان عند الهدف الواحد وهو مواجهة فرنسا، ولذلك وقعت العديد من الاتصالات بين الطرفين في سياق التقارب الألماني العثماني، لينتهي ذلك باتفاق الأمير و ألمانيا على مبدأ منع فرنسا من تحقيق مشروعها في السيطرة الكاملة على شمال أفريقيا ، وبذلك تحقق ضمناً مشروعاً الذي رحل من أجله من إسطنبول، و تحمل الكثير من الصعوبات والتحديات من أجله، بالوقوف أمام التوسع الاستعماري الفرنسي في المغرب العربي بمواجهته في المغرب الأقصى جغرافياً و لكن بأبعاد تحررية متجهة نحو الجزائر، و كان التضامن العثماني الألماني بالنسبة له فرصة ذهبية لتحقيق ذلك (بلقاسم، 2013، صفحة 118).

و بالإضافة إلى ما سبق ذكره فإن الأمير عبد المالك استغل الوضع الدولي المتمثل في الحرب العالمية الأولى الذي كان مشجعاً للقيام بهذه الثورة، مستغلاً في ذلك موازين القوى المتوسطية لتكون لصالحه، وقبل أن يعلن ثورته ضد فرنسا بدعم ألماني وعثماني قام بتحضير الظروف

النفسية والإعلامية لها، فأرسل الرسائل إلى المغرب الأقصى والجزائر معلنا عن بداية عهد جديد في منطقة المغرب العربي، فثورته لم تكن مقتصرة على المغرب الأقصى فقط ولكن كذلك الجزائر وتونس. لذلك و أرسل كذلك الرسل والمناشير إلى مناطق أخرى مثل تونس التي دعا أهلها إلى "الجهاد المقدس" (سعد الله، وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب، 1974، صفحة 60). وكان من جهة أخرى على علاقة بأفراد عائلته ببلاد الشام وبأخيه الأمير علي باشا (الأمير محمد سعيد، 1918، صفحة 74)، فقد ساعدت المكانة التي كان يحظى بها هذا الأخير في الدولة العثمانية، و في شرق العالم الإسلامي بصفته نائبا بالمجلس الوطني العثماني كثيرا الأمير عبد المالك (الأمير محمد سعيد، 1918). فكل أخبار هذه الثورة كان الأمير علي يقوم بنشرها في المشرق وقام له بالكثير من الأنشطة الدعائية في العواصم الأوروبية خاصة في جنيف وبرلين (الأمير محمد سعيد، 1918). فقد أصبح المتحدث باسمه وموضع سره، وحتى خلال تنقلاته إلى أوروبا التقى مع المغاربة المهاجرين الذين تعاملوا مع مكتب الاستعلامات للشرق الأدنى، وليس من قبيل الصدفة أن تصدر وكالة الأخبار الألمانية " وولف Wolff" الكثير من المناشير الدعائية لصالح ثورة الأمير عبد المالك، من بينها رسالة موجهة من الأمير عبد المالك إلى أخيه الأمير علي التي سمى فيها نفسه بـ "بأمير فاس" و تضمنت انتصاراته على فرنسا وتحريره للدار البيضاء التي جعلها عاصمة له (بلفاسم، 2013، صفحة 120).

لم يرق عبد المالك بهذه الخطوات حتى تأكد من حقيقة المساعدة الألمانية اللوجستية والسياسية له من خلال العديد من الاتصالات خاصة التي تمت في إسبانيا (سعد الله، وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب، 1974، صفحة 62)، ولكن هذا الدعم لم يكن بإمكانه تحقيق أي انتصار لو لم يتم تدعيمه بمقومات أخرى، فخبيرته العسكرية و السياسية كان لها وزنا كبيرا، فهو خريج مدرسة عسكرية أكاديمية حيث تلقى فيها مختلف العلوم العسكرية العصرية، خاصة في فترة التي كان فيها التقارب العثماني الألماني قد حقق الكثير من

الإنجازات، والمدرسة العسكرية البروسية أثبتت قدرتها وتفوقها على الساحة الأوروبية، وانتصارها على فرنسا في سنة 1870 من أهم إنجازاتها، ولم يبق ذلك التكوين نظريا فقط دعم ذلك بالمشاركة الميدانية في أرض المغرب في كل من مقاومة الشيخ بو عمامة و بوحمارة، وحتى أثناء ممارسته العسكرية مع عبد العزيز وعبد الحفيظ، ومن جهة أخرى سمح له مكوثه في المغرب لمدة طويلة قبل إعلانه ثورته بالتعرف على طبيعة هذه الأرض التي تعتبر عاملا فاصلا في الجانب العسكري، ولذلك اختار مجالا جغرافيا دقيقا بين منطقة النفوذ الفرنسي و النفوذ الإسباني، ففي هذه المنطقة كانت المقاومة المغربية متواصلة، و وجدت فرنسا الكثير من الصعوبات في إخضاعها خاصة وأن الوضع الإسباني في المنطقة الشمالية الذي كان ضعيفا ومضطربا، لم يساعد فرنسا في مواجهة الكثير من المقاومات الوطنية في هذه المنطقة (Rivet, 1996, p. 20).

إذا كان الأمير عبد المالك عند تحضيره ثورته قد أخذ بعين الاعتبار الظروف المحلية للمغرب الأقصى، فإن تخطيطه أخذ بعين الاعتبار مستعمرة الجزائر، التي كانت في الأصل هدفه الأول منذ دخوله المغرب الأقصى سنة 1903، وكان سعيه للانضمام لمقاومة الشيخ بو عمامة في هذا السياق، فالدعم الألماني والعثماني له يضمن "إقامة مملكة واحدة تضم المغرب و الجزائر" (سعد الله، وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب، 1974، صفحة 60)، وعند تحضيره السياسي والتعبوي لحركته وجد في شخصية عمه الأمير خالد الذي كان " واسطة الحركات المغاربية" (بلقاسم، 2013، صفحة 147) الرجل المناسب لإيصال لهيب ثورته للجزائر، فمنذ سنة 1914 طلب منه " الشروع في تهيئة الجو في الجزائر للقيام بحركة مساندة لحركته في المغرب، وقد أرسل إليه الأموال والمناشير" (بلقاسم، 2013)، ولكن وضعية الأمير خالد حينها لم تسمح له بالتجاوب مع هذه المبادرة، فالوسائل الدعائية الألمانية التي كانت في حرب إعلامية شرسة ضد فرنسا في سياق الحرب العالمية الأولى، وضعت الأمير خالد في حرج كبير مع السلطات الفرنسية، بعد تصوير وكالة " Wollff

الألمانية للأمير خالد كقائد عسكري على رأس 7000 مقاتل في الصحراء الجزائرية، حيث ذكرت هذه الوكالة الانتصارات الكبرى التي حققتها الحرب المقدسة التي يقودها الأمير عبد المالك في المغرب الأقصى، كما ذكرت أن الأمير خالد هو الآخر قام بثورة ضد فرنسا في الجزائر، وأن مشروع "مملكة المغرب العربي" شرع في تنفيذه (عجلي، 2005).

بالرغم من الأمير خالد نفى هذه المسألة ونفى حتى علاقته مع عمه عبد المالك وأكد ولائه لفرنسا في رسالة نشرتها جريدة "التان Le Temps" الفرنسية في 2 جانفي 1915، إلا أن هذه القضية حققت العديد من الأهداف بالنسبة لثورة الأمير عبد المالك، فقد سمحت بنشر أخباره للجزائر، و سمع الجزائريون عن ابن الأمير عبد القادر الذي كان يقود ثورة في المغرب الأقصى، وهذا بحد ذاته مكسبا استراتيجيا له. ومن جهة أخرى فإن موقف الأمير خالد من مقاومة عمه في المغرب الأقصى لم يكن بما أعلن عنه في الظاهر، فقد كتب إلى أحد أقربائه المسمى مصطفى بن محي الدين يقول فيها أنه متعاطف كثيرا مع عمه في المغرب الأقصى وأنه يفكر في زيارته والتحدث معه (الأمير محمد سعيد، 1918، صفحة 76)، و ذلك ما يفسر رفض الإدارة الفرنسية السماح له التوجه للمغرب الأقصى خوفا من استفادة عبد المالك منه سواء من حيث خبرته العسكرية وكذلك من معرفته الميدانية للمغرب الأقصى، فالأمير خالد قضى فيه فترة من مساره العسكري، وهذا ما جاء في رسالة المقيم العام بالمغرب الأقصى الماريشال "ليوتي Lyautey" الذي رفض بشدة عودة الأمير خالد للمغرب، وطلب من باريس عدم الدخول في هذه المغامرة التي لا تحمد عقباها (Rivet، 1996، صفحة 93)، و أصبح أكيدا أن علاقة وطيدة تمت بين الأمير عبد المالك و ابن أخيه الأمير خالد، حتى أن بعض التقارير أوردت تسلل هذا الأخير إلى المغرب الأقصى وتقديمه ليد المساعدة لعمه (سعد الله، وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب، 1974، صفحة 66)، و قد سمت هذه التقارير ذلك بالنشاط السري

الثوري للأمير خالد لتحرير المغرب العربي (بلقاسم، 2013، صفحة 150).

أما بالنسبة لمسار الثورة وتطوراتها الميدانية فإن الغرض من هذه الدراسة ليس بالوقوف على كل الأحداث العسكرية بتفاصيلها، والمعارك التي خاضها الأمير عبد المالك ضد القوات الفرنسية، ولكن سنكتفي بذكر أهم المحطات العسكرية التي عرفتتها هذه الثورة، خاصة التي كان الهدف منها توحيد المقاومة المغربية كنقطة انطلاق للقيام بثورة شاملة في المغرب العربي و تحريره من السيطرة الاستعمارية، مستغلا في ذلك الحرب العالمية الأولى وما وفرته من معطيات استراتيجية، التي سعى الأمير عبد المالك لاستغلالها لصالح ثورته، وقد أظهر بذلك قدرة سياسية كبيرة تميز بها لاطلاعه الواسع على موازين القوى الأوروبية على وجه الخصوص، ولذلك أراد استغلال ذلك بما يخدم قضيته، وبعد عدة محاولات فاشلة قام بها منذ دخوله إلى المغرب الأقصى سنة 1903، اتجه هذه المرة لتحضير كل الظروف السياسية والديبلوماسية والعسكرية والعائلية، وأخذ كل احتياطاته اللازمة (bulletin de l'Afrique française, 1916, p. 7)، ولعل من أهم هذه الترتيبات اختياره الذكي لأرض الثورة، فالمغرب الأقصى بكونه كان في تلك الفترة حديث العهد بالاستعمار الفرنسي لم يكن هادئا في العديد من مناطقه أثناء الحرب العالمية الأولى، حيث اتسعت فيها الثورات والانقاضات، و هي نفسها التي كانت ميدانا خصبا للدعاية الألمانية والعثمانية، و كانت حدودها تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى نهر الملوية شرقا كما كانت حدا فاصلا بين المنطقة السلطانية أي "المغرب الفرنسي" والمنطقة الخليفة أي "المغرب الإسباني" (bulletin de l'Afrique française, 1916)، ففي هذه المنطقة كان التأثير الريسوني المغربي يصول ويجول بدعم ألماني وتجاهل إسباني، وضاعف من نشاطه المعادي لفرنسا، كما كان إلى جانبه عدد من الثوار الآخرين، وهكذا أصبحت فرنسا أمام تحد كبير لتحقيق ما سمته دوائرها الاستعمارية في باريس بـ "التهدة La Pacification"، وعهدت هذه المهمة للماريشل ليوتي، الذي اعتمد على خطة سماها بـ "قشرة

البيض"، و قال عنها أنها "حفظت له ماء الوجه أمام باريس و دافعت عن الوطن الذي بقي فوق كل اعتبار" (*Lyautey*، 1954، صفحة 244)، فوجد الأمير هذه الأرض جد مناسبة للقيام بثورته هو الآخر، و كان أول عمل قام به التفاهم مع الثائر المغربي الريسوني فأصبحت المناشير الدعائية تصدر باسم الرجلين، فقد أدرك الأمير أن التواصل مع القبائل المغربية لابد ان يكون بوساطة مغربية، خاصة بعد التجربة القاسية التي تعرض لها في البداية ،عندما تم اسره من طرف إحدى القبائل و المسماة بقبيلة " الأنجيرة" بإقليم جبالة التي كادت أن تسلمه للسلطات الاستعمارية الفرنسية، لولا تدخل شيوخ قبائل أخرى الذين أطلقوا سراحه (*Afrique française bulletin de l*، 1916) بدون أن ننسى ما كان للدولة العثمانية من دور كبير في التفاهم بين الأمير و الريسوني، حتى ان كل الاتصالات التي كانت بين الرجلين كان يقوم بها ضابط تركيا يدعى "رمزي باي Ramsi Bey" (*bulletin de l'Afrique française*، 1916). وفي هذا السياق يقول صاحب "الظل الوريث" ما يلي: "لما فر عبد المالك محي الدين الجزائري من طنجة في الحرب الكبرى إلى المنطقة الإسبانية عن طريق البر حتى وصل إلى قبيلة غمارة، ونزل بالمحل المعروف "توزكان" بزاوية الشيخ ابن الصديق الغماري ومن هناك توجه إلى أجزناية على طريق صنهاجة السرائر وصار حوله الجموع من القبيلة المذكورة وغيرها ويدفع لهم المؤن اليومية و يرح في اسواق بالجهاد وبجزاء كل من استخدم معه براتب يومي والمدد من عنده فاجتمعت محلته من نحو 1500 بين رجل وخيالة" (سكيرج الخزرجي الأنصاري، 1926 ، صفحة 12).

3. أهم العمليات العسكرية في ثورة الأمير عبد المالك :

شكل الأمير أول فرقة عسكرية لمقاومة الاستعمار الفرنسي في المغرب السلطاني في مطلع سنة 1915، وقام باتصالات كثيفة مع العديد من المقاومين لاستمالتهم لجانبه، مثل الشنقيطي الذي اتخذ مكناس مقرا لمقاومته، كما جعل من منطقة تازة شمال شرق مدينة فاس مركزا

لنشاطه ومنطلقا لعملياته العسكرية، ويظهر من خلال هذا الاختيار الجغرافي نظرته الثاقبة ودرايته الدقيقة بمعطيات المغرب الأقصى، فقد استطاع أن يغطي محورا جغرافيا كان خاليا من أية مقاومة، وأكثر من ذلك فقد تمكن من خلال هذا التمرکز ربط الصلة بين مقاومة جبال الأطلس الأوسط، حيث كانت مقاومة موح وحمو الزياني في أوج قوتها، خاصة بعد معركة " الهري " في 13 نوفمبر 1914، التي قال عنها الماريشال ليوتي بأنه " لم يسبق لفرنسا في تاريخها العسكري أن منيت بمثل هذا التدمير في قوة هامة من قواتها، وخسرت مثل هذا العدد من ضباطها، وأضاعَت مثل هذا القدر الكبير من عتادها " (Lyautey، 1954، صفحة 291)، ومن جهة أخرى ربط الأمير هذه المقاومة مع المقاومة في المنطقة الخليفية (الشمالية) التي كانت هي الأخرى مشتتة، وأوقفت الزحف الإسباني نحو الداخل، ولعل هذه المسألة التي دفعت بالمارشال ليوتي بأن يلقب الأمير عبد المالك بـ " الرجل الخطير " لأنه تمكن من إحداث رابطة بين العديد من القبائل المغربية التي اشتركت في مقاومتها للاستعمار الفرنسي الإسباني للمغرب، و لكنها لم تستطع أن تتوحد فيما بينها. (Lyautey، 1954).

لقد بدأت العمليات العسكرية في ثورة الأمير عبد المالك ابتداء من مطلع سنة 1915 عندما شن عدة هجمات على الفرنسيين انطلاقا من إقليم تازة، مستغلا في ذلك وجودهم الضعيف بفعل المقاومة في الأطلس الأوسط التي كانت في أوج قوتها، و تمكنت من قطع الطريق أمام تقدم القوات الفرنسية نحو الشمال (Lyautey، 1954)، ثم قام عبد المالك بالتقدم نحو الوسط واستطاع تحقيق العديد من المكاسب الميدانية، و تشير بعض المصادر التاريخية أن هذا التقدم وصل حتى ضواحي مدينة الدار البيضاء، حيث حقق جيش الأمير عبد المالك انتصارا مفاجئا على القوات الفرنسية جاءت تفاصيله في رسالة بعث بها إلى أخيه الأمير علي بإسطنبول، حيث جاء فيها أنه حقق أول فوز على الحيوش الفرنسية، واستطاع الوصول إلى مشارف مدينة الدار البيضاء التي وصفها في هذه الرسالة بأنها مركزا حربيا خطيرا يحرص العدو عليه شديد الحرص، وجاء كذلك في هذه الرسالة أن جيش الأمير استولى

على عشرات الرشاشات المدفعية ومئات البنادق والعتاد الحربي وسقط 700 بين قتيل وجريح (الأمير محمد سعيد ، 1918).

كان هذا الانتصار العسكري الذي حققه الأمير في مطلع سنة 1915 هاما و مفاجئا بالنسبة لفرنسا ، و بمثابة نقلة نوعية في مسار ثورته، خاصة بعد الصدى الذي أحدثته في الصحافة الدولية، مما أوقع فرنسا في حرج كبير أمام حلفائها في بداية الحرب العالمية الأولى، فقد ذكرت العديد من الجرائد الأوروبية أخبار عن هذا الانتصار، حيث جاء فيها الارتباك الكبير الذي أحدثته في الصفوف الفرنسية، كما جاء في الجريدة الإيطالية "*La Tribuna de Roma*" التي ذكرت أخبارا عن ثورة الأمير عبد المالك نقلا عن الجريدة الألمانية "*gazzette de floss*"، وذكرت كذلك أن الأمير عبدالمالك استولى على مدينة تازة بجيش قدره 1500 جندي، وأنه هاجم الدار البيضاء وخسرت فرنسا 700 رجل، وأنها تحت الصدمة الكبيرة (قاصري ، 2017، صفحة 93)، ولذلك سارعت باريس بدعاية مضادة وبنشاط إعلامي كبير لتكذيب هذه الأخبار، و إثبات عدم صحتها، و اعتبرتها جزء من المناورات الألمانية المرتبطة بالحرب العالمية الأولى، و قالت أن عبد المالك مازال مسؤولا للشرطة في مدينة طنجة، وأنه مازال وفيا لفرنسا، حتى أنه بعث بتهنئة للرئيس الفرنسي بمناسبة بداية سنة 1915 كما تمنى في هذه البرقية النصر لفرنسا في حربها مع الألمان (قاصري ، 2017، صفحة 94).

لقد فتحت هذه الانتصارات الأولية والسريعة التي حققها الأمير عبد المالك على القوات الفرنسية كل أبواب قيادة المقاومة المغاربية انطلاقا من المغرب الأقصى، خاصة أنه استطاع تهديد مدينة الدار البيضاء التي كانت بمثابة القلب النابض لنظام الحماية الفرنسية في المغرب ، فحتى فرنسا اعتبرت الاستيلاء عليها سنة 1908 رمزا للهيمنة على كامل المغرب (André ، 1968، صفحة 103). ولذلك بدأ عبد المالك خلال سنة 1915 في البحث عن قواعد جديدة لثورته في المناطق القريبة من تازة (التي كانت مقرا رئيسيا له) عند مختلف

القبائل المغربية مثل " أولاد غيثة" و "بلاد كزناية" ومنطقة "أكنول" و "بني زروال" التي حل عندها في جويلية (*bulletin de 1 Afrique française*، 1916) 1915، وانطلاقا من هذه المناطق بدأ في توجيه رسائله لكل القبائل الموجودة بالمنطقة، وقد كان اختيار الأمير لهذه المناطق مقصودا لأنها تشكل خط اتصال مع الجزائر في الشرق، و خاصة قبيلة "غيثة" التي شكل عندها النواة الصلبة للمقاتلين.

إلا أنه و بالرغم من التنظيم الثوري المحكم لعبد المالك، فإن تحقيق هذه المكاسب الأولية كان تم بعد وصول المساعدات الألمانية العثمانية، التي كان الأمير يتحصل عليها عن طريق البحر، بالإضافة إلى الدعاية الألمانية العثمانية التي نشطت كثيرا في المنطقة الشمالية خلال الحرب العالمية الأولى، حيث كانت تستعمل كل الوسائل الممكنة لنشر فكرة الاستقلال و الانفصال عن فرنسا في تلك الفترة، فكثيرا ما كان المارشال ليوتي يسمي السفارة الألمانية و العثمانية في مدريد بالمراكز المعادية و الخطيرة على مصالح فرنسا في مختلف تقاريره لأنها كانت تسعى لإثارة أفريقيا الشمالية ضد فرنسا (*Lyautey*، 1954، صفحة 350)، كما جاء في هذه التقارير الحديث عن الكثير من العملاء الألمان الذين جابوا كل أفريقيا الشمالية لنشر أفكارا عدائية ضد فرنسا (*Lyautey*، 1954)، وعليه أصبحت المنطقة الشمالية من المحيط الأطلسي غربا إلى منطقة ملوية شرقا أرضا خصبة للدعاية العثمانية الألمانية (بلقاسم، 2013، صفحة 127)، و في حقيقة الأمر فإن عبد المالك استفاد كثيرا من هذه الدعاية، وحاول توحيد كل المقاومين في المغرب الأقصى لضرب الوجود الفرنسي في كامل المنطقة المغاربية، وهذا ما يفسر تأثيره الكبير بعد فشل الإنزال الألماني العثماني في السواحل المتوسطية في سواحل مدينة مليلة سنة 1916 (أمطاط، 2010، صفحة 180)، ولكن ذلك لم يمنع الأمير من مواصلة تحركاته نحو الكثير من القبائل مثل "مطلاسة" و "غزناية" و "بني بويحي" التي اتصل بهم منذ سبتمبر 1915 (*bulletin de l'Afrique française*، 1916)، فقد جاء في عدد من المصادر التاريخية المعاصرة للثورة أن "الأمير قدم

إلى تفرست من قبيلة بني تزين ليتخابر مع اعيان الريف الذين اجتمعوا هناك باستدعائه...حيث قالوا له لا نفهم ماذا تريده مقاتلة فرنسا في داخل الإيالة، مع أن إسبانيا حولنا تريد الاستيلاء على ناحيتنا، فتحققوا ان نظره مثل نظر القنصل الألماني ألفار الذي استنهض الريف لمقاتلة فرنسا...و كان ألفار الألماني المذكور طلب منهم أن يعينوا له مرسى من المراسي لينزل بها السلاح و المدد ليوجهه إلى عبد المالك فامتنعوا عن ذلك...فقال لهم غنه في طوقي أن أعطي مؤونة ألفي نفر يومية و أمدهم بالمدد الأكبر من سلاح و غيره ليقابلوا خطوط المدافعة عن وطنهم..." (سكيرج الخزرجي الأنصاري، 1926 ، صفحة 12).

لقد حقق الأمير من خلال تحركاته في المنطقة الحدودية بين المنطقة الفرنسية والإسبانية مكسبا استراتيجيا تمثل في التقائه مع آل الخطابي و على عبد الكريم الخطابي زعيم قبيلة "بنبورياغل"، وكذلك مع ابنه محمد قائد ثورة الريف فيما بعد بين سنتي 1921 و 1926، فهذا الأخير أصبح رجلا لاتصالات عبد المالك مع الألمان و الأتراك عن طريق إسبانيا، وقد أدت هذه الوساطة إلى الكثير من المكاسب المادية لثورة عبد المالك، نظرا للكمية الكبيرة من العتاد والأسلحة التي تحصل عليه عن طريق آل الخطابي، ففي شهر جويلية 1915 وصل المندوب الألماني "فارل" سرا إلى مدينة مليلة واتصل بعائلة الخطابي في مدينة آجدير واتفق مع زعيمها عبد الكريم الخطابي على تجنيد 2000 رجل من القبيلة على أن يتم تسليحهم من طرف ألمانيا مقابل عروض مالية سخية (سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ، 1830-1900، 1983، صفحة 240)، إلا أن المسألة بالنسبة للخطابي تجاوزت العرض المالي فلطالما تحدث عن حلمه بتحرير الريف، ويبدو أنه أراد استغلال هذه الفرصة بما يحقق أهدافه وقد كان هذا التحالف بمثابة جرس إنذار دق في دار الإقامة الفرنسية بالرباط، التي أبرقت عن طريق المارشال ليوتي إلى السلطات الإسبانية بضرورة التدخل لدى الخطابي لتوقيف هذا التحالف الخطير على كلا الطرفين سواء فرنسا أو إسبانيا، خاصة بعد معركة "سوق الحد" في جانفي 1916، التي حقق فيه عبد المالك انتصارا كبيرا بدعم من الخطابي، وسمحت له هذه المعركة بفتح ثلاث

جبهات عسكرية لمواجهة القوات الفرنسية في منطقة " غزناية " في مطلع فيفري 1916 ، وبالرغم من عدم تحقيق انتصار عسكري حاسم في هذه المعركة بعد إرسال ليوتي للجنرال " هنريس " لمواجهة تقدم قوات عبد المالك، إلا أنه أصبح واضحا أن تحالف الخطابي مع عبد المالك سيكون خطرا ليس على فرنسا فقط بل حتى على إسبانيا، وهذا ما جاء في رسالة ليوتي للسلطات الإسبانية بمدريد، و ما صرح به كذلك بقوله بأنه بفضل مجهودات عبد المالك وتحالفه مع آل الخطابي فإن المغرب تعرض بين سنة 1915 و 1916 إلى هزات شديدة عرضت الوجود الفرنسي في المغرب للخطر (l) *Afrique française* bulletin de 1916).

لقد أدركت السلطات الإسبانية مضمون رسالة ليوتي لذلك بدأت في تحرشاتها ضد آل الخطابي انتهت بسجن محمد بن عبد الكريم الخطابي في فيفري 1916 في حين فر والده عبد الكريم إلى منطقة أمانة، وهذا ما جعله يعلن مساندته الصريحة لمقاومة عبد المالك وللألمان، ولم يتردد في نقل الأسلحة والذخيرة له (l) *Afrique française bulletin de 1916*، ولكن هذا الموقف لم يطول كثيرا فبعد إطلاق الإسبان سراح عبد الكريم في سبتمبر 1916 تراجع والده عن دعم الألمان و الأتراك، وصرح بذلك للأمير عبد المالك، فعاد الوفاق بين عبد الكريم والإسبان، ولكن مشروع الأمير عبد المالك كان يتجاوز بكثير تلك الحسابات الخطابية الضيقة ، لذلك واصل حركته، لتعرف هي الأخرى تطورات حاسمة، فبداية من مطلع سنة 1917 دخلت ثورته في مرحلة مواجهة مباشرة مع الاستعمار الفرنسي، فأطلق عليه ليوتي تسمية "رجل الساعة" الذي يجب مواجهته (سعد الله، وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب، 1974، صفحة 62)، فبدأ في تنفيذ خطة عسكرية محكمة لمحاصرته من جميع الجوانب، فأغلق كل المنافذ المؤدية للجزائر، وأقام حزاما أمنيا محكما في كل قطاع نهر ملوية الأسفل، كما شكل العديد من الوحدات العسكرية في المنطقة التي كان يتحرك فيها عبد المالك، لقد أدرك ليوتي الأهداف البعيدة لهذه الثورة التي لو بقيت بنفس الروح لتحولت إلى مشروع تحرري مغاربي

بامتياز خاصة إذا نجحت في التوغل للأراضي الجزائرية، و هذا ما سعى ليوتي لعدم حدوثه مهما كان الثمن كما جاء في الكثير من تقاريره الموجهة لباريس (Lyautey، 1954).

4. نهاية ثورة الأمير عبد المالك :

لقد حققت ثورة عبد المالك خلال سنة 1917 الكثير من المكاسب الميدانية والسياسية، ولكنه وعلى من العكس من ذلك فإن سنة 1918 كانت جد قاسية عليه، ففي هذه السنة اختلت موازين القوى في أوروبا، وانهزمت ألمانيا وحلفائها، ووقعت وثيقة الهدنة في 11 نوفمبر 1918، وانتهى بذلك الدعم المادي والدعائي الذي كان يتلقاه عبد المالك وآخرون في المغرب و المشرق، وبدأ الفرنسيون في مغادرته، وبقيت معه فرقة صغيرة فقط من أتباعه الأوفياء (أمطاط، 2010، صفحة 182)، ولتفادي الهزيمة العسكرية المذلة، وقبل أن يفقد كامل قواته العسكرية، دخل في سلسلة من المفاوضات مع السلطات الفرنسية طلب من خلالها السماح له بمغادرة المغرب الأقصى، والتوجه نحو إسطنبول أو روما (بلقاسم، 2013، صفحة 142)، ولكنه ذلك لم يستطع الحصول على ذلك من طرف الإقامة العامة في الرباط التي اعتبرته متمرداً، و حارجا عن القانون، ولم تترك أمامه حلاً آخر ما عدا الاستسلام. وحتى حلفاؤه السابقون لم يجد عندهم ملاذاً، ولم تستطع السفارة التركية و لا الألمانية في مدريد أن تقدم له أي حل له ولأسرته (bulletin de *Afrique française* 1916).

و في الفترة الممتدة بين 1919 و 1920 بقي الأمير عبد المالك في اتصالات ومفاوضات مع السلطات الفرنسية في الرباط من أجل إيجاد حل مشرف له لا يؤدي به إلى استسلام مذل بدون قيد و شرط، ففي عدد من رسائله التي وجهها للمقيم العام الفرنسي في الرباط المارشال ليوتي جاء فيها استعدادة لتوقيف كل عملياته العسكرية مقابل الحصول على الأمان له ولعائلته، إلا أن الشروط الفرنسية المهيمنة حالت دون التوصل إلى اتفاق بين الطرفين، من بينها إقرار عبد المالك بقيامه بتمرد على فرنسا، والاعتراف بانتهزامه واستسلامه، وإلزامه بأن تكون إقامته

محددة في منطقة واحدة دون غيرها، وعدم الخروج منها بدون إذن مسبق من السلطات الاستعمارية، وهو ما رفضه عبد المالك. وبقي مطلب الأمان لعائلته واسترجاع ممتلكاته المصادرة في طنجة نقطتي اتفاق بين الطرفين (سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، 1981، صفحة 127).

ابتداء من سنة 1921 عرفت منطقة الريف تطورات هامة تمثلت في اندلاع مقاومة محمد بن عبد الكريم الخطابي ضد إسبانيا، و استطاعت تحقيق انتصارا عسكريا كبيرا في معركة أنوال في 21 جويلية 1921، وبالرغم من ذلك فإن عبد المالك رفض الانضمام لهذه المقاومة، لكنه بقي على اتصال بعبد الكريم إلى غاية نهاية سنة 1922، وفشل عبد الكريم في استمالاته إلى جانبه مثلما حدث في سنة 1921 (سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، 1981)، ولكن الأحداث بعد ذلك تسارعت بشكل مأساوي غير متوقع، لتنتهي بصدام مسلح بين الرجلين (التعليق iv)، فقد أراد الخطابي كسب تأييد فرنسا لصالح قضيته ضد إسبانيا، بتوتير العلاقة بينهما باستعمال ثورة عبد المالك كمطية و"قميص عثمان"، فقد كتب رسالة للماريشال ليوتي جاء فيها أن ضباطا إسبانيين ساعدوا عبد المالك لإثارة المشاغب لفرنسا على حدود المنطقة الفرنسية، وأن هذه المساعدة كانت بأوامر من حكومة مدريد (بلقاسم، 2013، صفحة 144)، وعند زيارة الرئيس الفرنسي ملليران للمغرب الأقصى في سنة 1922 اتصل به الخطابي وطلب منه الاعتراف باستقلال الريف مقابل احتوائه لثورة عبد المالك (Daoud، 1999، صفحة 91)، ولم يتوقف الخطابي عند هذه المحاولات بل أرسل إلى باريس في سنة 1923 وفدا ترأسه أخيه أمحمد بن عبد الكريم وصهره ابن الحاج محمد بن الحتمي، وطلب من فرنسا الاعتراف بجمهورية الريف، وقد اشترطت فرنسا على الخطابي محاربة عبد المالك وإخراجه من الريف (Jacques ، 1927، صفحة 21)، ومن جهة أخرى فإن إسبانيا التي استفاقت من صدمة " أنوال "، و أرادت هي الأخرى استعمال الأمير عبد المالك لمواجهة الخطابي، وبالفعل

فقد تم الاتفاق بين الطرفين بتعهد إسبانيا بتقديم الدعم المادي لعبد المالك مقابل إعطائه حرية الحركة في المنطقة الشمالية (Jacques ، 1927).

بعد هذه التطورات التي حصلت في منطقة الريف، التي انتقل إليها عبد المالك منذ سنة 1919 بعد محاصرته من طرف القوات الفرنسية، فإن المواجهة بينه وبين الخطابي أصبحت حتمية، فقد كان لكلا الرجلين أهدافه وألوياته، فالنسبة لعبد الكريم فإن مقاومة الريف بعد معركة أنوال تجاوزت البعد المحلي وأصبحت قضية إقليمية بل دولية وذات بعد استراتيجي، ولذلك لم يعتبر فرنسا خصما له بل بحث عن دعمها ومساندتها له والاعتراف به، بالرغم من احتلالها للقسم الجنوبي من المغرب الأقصى، وبالرغم من قمعها للعديد من المقاومات المغربية التي لم تكن بعيدة عن الريف، كما هول الحال لمقاومة الأطلس الأوسط، ولذلك أصبحت مواجهة عبد المالك بالنسبة إليه بمثابة جزء من الكل، وتكتيك جزئي ضمن استراتيجية شاملة (Jacques ، 1927)، أما بالنسبة للأمير عبد المالك فإنه كان يعتبر مواجهة فرنسا و حلفائها هدفه الرئيسي حتى وإن كان آل الخطابي معها، لذلك استطاعت إسبانيا استقطابه لجانبها لمواجهة عبد الكريم في سنة 1923 بعدما انتقل إلى مدينة تطوان وعين على رأس إحدى الفرق الوطنية وكذلك قيادة الجنود المغاربة في الجيش الإسباني (سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، 1981، صفحة 127)، ويبدو أن هذا التعيين أثار حفيظة باريس التي ضغطت على إسبانيا فتم عزله في مطلع سنة 1924، وهكذا أصبح الأمير عبد المالك وجها لوجه مع الخطابي (Jacques ، 1927)، ولذلك سارع هذا الأخير لمحاصرته ومطالبته بالاستسلام، وأمام رفض عبد المالك بدأت الاشتباكات العسكرية بينهما في عدة مواقع، خاصة وأن الخطابي أراد أن ينهي مسألة عبد المالك بسرعة حتى لا تؤثر في مسار مقاومته، التي كانت قد اتخذت بعدا سياسيا كبيرا بعد إعلانه لـ "جمهورية الريف" ولكن ذلك لم من السهل تحقيقه خاصة بعد أن وقع عبد المالك اتفاقا آخر مع إسبانيا تم بوجبه تقديم له مساعدة عسكرية واعترافا سياسيا به، مما سمح له بتوقيف زحف الخطابي نحوه.

كما استطاع فك الحصار المضروب عليه (سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، 1981، صفحة 111).

وفي سياق سياسة الجنرال الإسباني "بريمو دي ريفرا" الذي قام بانقلاب عسكري في مدريد في نهاية سنة 1923، وإعلانه لسياسة جديدة في الريف شعارها " إزالة آثار كارثة أنوال " بدأت القوات الإسبانية المتواجدة في مليلة بتحرك نحو الريف ابتداء من جويلية 1924. فأصبح الأمير عبد المالك في قلب هذه العملية بحكم تحالفه مع إسبانيا، التي اعتبرته خبيراً و عارفاً بشؤون قبائل الريف خاصة في منطقة " عزيب ميسار " أين تتواجد قبيلة "بني توزين"، و في جويلية 1924 توجه عبد المالك لمنطقة " عزيب ميسار " رفقة ابنه الحسن، الذي كان شاهد عيان لآخر معركة خاضها والده في الريف، و قد استطاع التوغل في داخل هذه المنطقة والوصول إلى الكثير من القبائل مثل "بني توزين" و "المطالسة"، وفي "عزيب ميسار" نشبت معركة بين الطرفين بدأت منذ فجر يوم 06 أوت 1924 وانتهت في منتصف النهار باستشهاد الأمير عبد المالك بعدما أصابته رصاصة في صدره من أحد القناصة المرتزقة (سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ، 1830-1900، 1983، صفحة 243).

لقد طرح مقتل الأمير عبد المالك المباغت الكثير من التساؤلات، و على رأسها من قتله؟ و لماذا؟ فهناك رواية تفيد بأن عبد الكريم الخطابي كان من وراء هذه العملية بتكليفه لمجموعة من الرماة الذين تربصوا به ، و عندما قدم إلى ذلك المكان رماه أحدهم المسمى القائد محمد أزداد من قبيلة آيت يوسف و علي (سكيرج الخزرجي الأنصاري، 1926 ، صفحة 15)، و في المقابل ذكرت رواية أخرى أن الذي قام بقتله هو أحد الجنود الإسبان الذين كانوا معه بغرض نشر الفتنة والبلبلة بينهم، وكذلك خوفاً من أنه سينقلب على إسبانيا فيما بعد، كما يقول بذلك بعض أفراد عائلته (التعليق v). فحول نهاية ثورة عبد المالك ذكر صاحب الظل الوريث ما يلي " ...ثم بعد أيام حمل على مدشر ميسار الذي جبله يطل على قبيلة بني ورياغل بعد أن وزع كثيراً من

المكاتب مصحوبة بالأموال لمن يعرفهم من أعيان القائل منهم القائد الحاج بقيش و بعد ظهوره على مدشر ميسار وعرف بنو ورياغل القوة التي معه اختاروا اعمال السياسة في مقاتلته فأختار عبد الكريم جماعة من الرماة نحو عشرة من المجتهدين منهم القائد محمد أزداد من آيت يوسف وعلي و وجهه بأن يتربصوا بعبد المالك الدوائر...عندما يقدم بمن معه لضرب القبيلة...فذهبوا و تعلقوا بأشجار الزيتون التي بين مدشر ميسار وعزيبه و صادف الحال مرور عبد المالك من طرفهم فرماه القائد أحمد أزداد بضرب ببندقية مدسير صادفت جمجمته التي خر بها على الأرض ميتا حيناً...بعد أن وقعت معركة كبيرة وحمله الإسبان إلى عزيب ميسار ثم حملوه إلى تطوان... " (سكيرج الخزرجي الأنصاري، 1926 ، صفحة 15).

نقل جثمان الأمير عبد المالك إلى سبتة على ظهر باخرة حربية إسبانية، و منها إلى تطوان حيث تم دفنه في مقبرة الزاوية الحراقية الدرقاوية، وهي مقبرة ملكية كان يدفن فيها الأمراء و الأعيان أمثال الأمير مولاي المهدي خليفة السلطان المغربي في الريف، كما بعث رئيس الحكومة الإسبانية الجنرال الإسباني " بريمو ديريبرا " رسالة تعزية لولده الحسن. و مهما كانت حقيقة مقتله و من كان ورائها سواء الخطابي أو الإسبان، فإنه في ذلك اليوم انتهت قصة كانت تحتوي على عناصر كثيرة من الرومانسية الجديرة بإثارة كثير من الخيال و التاريخ (سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ، 1830-1900، 1983، صفحة 244)، و بموته تكون قد انتهت المهمة التي قام بها اقتداء بوالده الأمير عبد القادر (سعد الله، وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب، 1974، صفحة 57)، وبمقتله كذلك انتهت معادلة ثورية جمعت بين كل من البعد الديني والوطني من أجل تحرير منطقة المغرب العربي (سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ، 1830-1900، 1983، صفحة 248).

الخاتمة :

مما سبق ذكره حول مسار حركة الأمير عبد المالك و من خلال مختلف محطاتها و مضامينها يمكننا التوصل إلى جملة من النتائج تتمثل فيما يلي :

- لقد كانت ظرفية الحرب العالمية الأولى مناسبة لثورة الأمير عبد المالك، فهي سبب وجودها و أحداثها سايرتها منذ بدايتها إلى نهايتها، و لذلك فهي تندرج ضمن الأحداث المرتبطة بها أسبابا ومسارا و نتائجا. لذلك تعتبر العمليات العسكرية لثورة الأمير عبد المالك جزء من الجبهات الحربية للحرب العالمية الأولى، بالرغم من أن القوى المتصارعة في هذه الحرب لم تلتق على أرض المغرب الأقصى، و لم تقم بأية معركة مباشرة، و لكن هذه الأطراف تحاربت فيما بينها عن طريق " وكلاء"، لها فأمدتهم بالسلاح و العتاد و الدعاية، و في كثير من الأحيان كانت تطورات هذه الثورة مرتبطة بموازين القوى للحرب العالمية الأولى.
- تعتبر هذه الحركة جزء لا يتجزأ من الحركة الوطنية الجزائرية، فزعيمها جزائري اتخذ من المغرب الأقصى الحديث العهد بالاستعمار قاعدة لتحرير الجزائر و كامل المغرب العربي، وأراد ان يضرب الاستعمار الفرنسي في أضعف مراكزه آنذاك، ولذلك تجاوب معه المغاربة، الذين تأمر عليهم حكامهم بوضع أيديهم مع الاستعمار، لإيمانهم بوحدة مصيرهم مع الجزائريين من جهة، و لأنه حاول توحيد المقاومة المغربية في المنطقتين الفرنسية و الإسبانية. من جهة ثانية، و بالتالي فإن هذه الثورة كانت وحدوية مغربية مغاربية بامتياز.

- وبالرغم من سعي بعض الدراسات لتحقير هذه الثورة و وصف زعيمها بـ " الخيانة" و " العمالة" و غيرها من الأوصاف التي لا يعتمدها اي منهج تاريخي، فإن الحقيقة الساطعة و الناصعة التي لا يمكن طمسها أن الأمير عبد المالك الجزائري ابن الأمير عبد القادر " استطاع أن يدخل بجرأته و طموحاته و دهائه و مبادئه و جهاده تاريخ المغرب الأقصى المعاصر من بابه الواسع". (ابن الحاج

السلمي ، 2014/2015، صفحة 277)، بل أكثر من ذلك فقد هدد أركان فرنسا الاستعمارية في كامل شمال إفريقيا (ما جاء في رسالة ليوتي لوزير الخارجية الفرنسي "بيشون Pichon"، وأعلنت باريس الطوارئ وطلبت من قادتها العسكريين الكبار أمثال الجنرال " هنريس Henrys " و المارشال ليوتي القضاء على هذه الثورة ، فهذا الأخير كتب حولها الكثير من التقارير العسكرية و دق الجرس في باريس و قال عن الأمير عبد المالك انه زعزع الوجود الفرنسي في شمال إفريقيا، و وأشرف هو بنفسه على العمليات العسكرية و الخطط المحكمة لمنع تسرب افكار هذه الثورة إلى الجزائر التي كانت باريس في تلك تعتبرها " مستعمرة هادئة" (سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ، 1830-1900، 1983، صفحة 306) . واعتبرت الأمير عبد المالك تهديدا لها ، فكيف يمكن لفرنسا أن تقيم الدنيا و لا تقعدها في المغرب الأقصى من أجل مواجهة " عميل " أو " خائن "؟؟ و بغض النظر عن كل هذه التجاوزات الأكاديمية فالأكيد أن الكثير من تاريخ هذه الشخصية المثيرة للجدل مازال لم يعرف بعد، و بدون أدنى شك فإن الكثير من الأرشيف الألماني و التركي و الإسباني فيه من الحقائق المطموسة ما يفرض على الدارسين المتخصصين في الموضوع التعرف عليها، و بالتالي فإن الاطلاع عليها ودراستها و نشرها يعتبر من صلب العملية التاريخية الموضوعية قبل أي شيء.

التعليقات:

التعليق 1 - كانت رحلة الأمير عبد المالك من إسطنبول إلى الساحل المصري أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة. و لا يذكر هذه التفاصيل بدقة سوى حفيدته الأميرة بديعة الحسني الجزائري حيث ذكرت انه بعد ان طلب من عائلته المتكونة من زوجته و اربعة ابناء و هم حسن و بديرة و محي الدين و شفيقة الذهاب إلى الشام خرج مبكرا من بيته و استقل إحدى السفن التجارية المتجهة نحو مصر في زي تاجر متنقل و عند وصوله غلى مصر واصل رحلته عن طريق البر عبر الصحراء الليبية و كاد ان يهلك في هذه الرحلة لو إنقاذه من طرف عائلة صحراوية ذات اصول آسيوية مكث عندها مدة من الزمن. ثم واصل رحلته عن طريق عن طريق الساحل

حتى دخل إلى تونس. أنظر ، الأميرة بديعة الحسني الجزائري، الجذور الخضراء ، دار السلام للترجمة و النشر ، دمشق ، 1997 ، ص ، 173 ، 174 ، 175.

التعليق 2- وقع خلاف كبير بين الدارسين حول مشاركة الأمير عبد المالك في مقاومة الشيخ بوعمامة. فقد رفضها أبو القاسم سعد الله عندما تناول حركته في العديد من دراساته و لعل السبب في ذلك في تزامن ذلك مع دخوله إلى المغرب بمعنى متى انضم إليها قبل دخوله إلى المغرب أم بعد ذلك و هل يعني ذلك ان عبد المالك دخل إلى الأراضي الجزائرية ام انه التقى بوعمامة في المغرب الأقصى. رغم أنه يسجلها في كتابه " أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ج 01 " الا أنه من جهة أخرى هناك دراسات أخرى تؤكد هذه المسألة مثل عبد الوهاب بن منصور في كتابه " اعلام المغرب " و آخرون مثل بلقاسم محمد في " وحدة المغرب ... " ص 116

التعليق 3- ذكر أبو القاسم سعد الله أن هذه الرسالة بعثه الأمير عبد المالك من فرنسا اثناء تواجده بها للعلاج من مرض الربو. و لذلك قد يكون ذلك ظاهريا أو تطبيقا للبروتوكولات التي تقتضي مثل هذه الممارسات خاصة من طرف موظف سامي. و من المفارقات أنه عندما عاد إلى المغرب مرورا بإسبانيا أعلن الثورة ضد فرنسا. انظر ، أبو القاسم، سعد الله، وثائق جديدة ... ص 54.

التعليق 4- تبقى حقيقة ما حدث بين الأمير عبد المالك و عبد الكريم الخطابي من النقاط الغامضة لمسار الرجلين. بحيث نسجل تناقضا كبيرا في طبيعة الدراسات التي تطرقت لهذه المسألة بين من يعتبر أن الخطابي أراد أن يجعل من عبد المالك كبش الفداء للحصول على دعم الفرنسي له ضد إسبانيا و قد قام بعدة محاولات في هذا الاتجاه و هذا ما ذهب إليه الباحث بلقاسم محمد في كتابه "وحدة المغرب العربي فكرة و واقعا" في حين ذهب آخرون لاستعمال إسباني للأمير عبد المالك لمواجهة مقاومة الريف كما ذهب إليه عدد من المؤرخين من المغرب الأقصى مثل محمد أمطاط في كتابه " الجزائريون في المغرب" و عبد الوهاب بن منصور في " معلمة المغرب العربي " في حين تبقى الحقيقة الكاملة للعلاقة التي كانت بين الرجلين حبيسة ما هو مخزن في الأرشيف الفرنسي و الإسباني و الذي لم يكشف عنه فملف عبد المالك في أرشيف فنانسان فيه الكثير من التحفظ، و تبقى تفاصيل هذه القضية لحد الآن ناقصة و فيه الكثير من المسكوت عنه.

التعليق 5- ذكرت الأميرة بديعة الحسني حفيدة الأمير عبد المالك أن عائلتها لا تؤمن بما يقال أن عبد الكريم الخطابي هو من قتل عبد المالك و أنها مناوراة قام بها الدوائر الاستعمارية الإسبانية لزرع الفتنة بين سكان الريف من جهة و لتصفيته خوفا من أن ينقلب ضدها بعد أن يستعيد قوته.

و لذلك لم تمنع العائلة في مصاهرة عائلة الخطابي بتزويج حفيدة عبد المالك صفية من ابن الخطابي رشيد في دمشق. أنظر قاصري محمد السعيد، الأمير عبد المالك الجزائري وثورته، في المغرب الأقصى، مرجع سابق، ص 123.

قائمة المراجع:

- أبو القاسم سعد الله. (1981). أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر (الإصدار 1). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.
- التليلي عجيلي. (2005). **صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي 1876- 1918**. منوبة : كلية الآداب والفنون والانسانيات.
- أبو القاسم سعد الله. (جانفي، 1974). وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب. **المجلة التاريخية المغربية**.
- أبو القاسم سعدالله. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي . بيروت : دار الغرب الإسلامي.
- أبو القاسم سعد الله. (1983). **الحركة الوطنية الجزائرية ، 1830-1900** (الإصدار 2، المجلد 3). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.
- الحاج أحمد سكيرج الخزرجي الأنصاري. (1926). **الظل الوريث في محاربة الريف**. المغرب : المطبعة الجديدة.
- الحسني الجزائري الأميرة بديعة . (1997). **، الجذور الخضراء** . دمشق : دار السلام للترجمة و النشر.
- جعفر ابن الحاج السلمي . (أفريل، 2014/2015). " الأمير عبد المالك الجزائري و مواقف المؤرخين المغاربة منه" . **مجلة عصور الجديدة**.
- عبد الوهاب بن منصور . (1979). **أعلام المغرب العربي**. الرباط: المطبعة الملكية للرباط.
- محمد أمطاط. (2010). **الجزائريون في المغرب 1830 -1962**. (المنشوية السامية لقدماء المقاومين و أعضاء جيش التحرير، المحرر) الرباط: دار أبي الرقراق للنشر و التوزيع.
- محمد بلقاسم. (2013). **وحدة المغرب العربي فكرة و واقعا ، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي، 1910 – 1954**. الجزائر: البصائر الجديدة للنشر و التوزيع.
- محمد السعيد قاصري. (2017). **الأمير عبد المالك و ثورته في المغرب الأقصى 1868 – 1924** . الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- الأمير محمد سعيد و آخرون . (1918). **حياة طيب الذكر ، الأمير علي بن الأمير عبد القادر ملك الأقطاع المغربية و سلطان الأرباض الجزائرية** . دمشق: مطبعة الترقى.

Abdallah Laroui .(2009) ***les origines Sociales Et Culturelles Du Nationalisme Marocain (1830 1912 -)*** Casablanca: ,Centre Culturel Arabe.

Adam André .(1968) . ***Histoire de Casablanca, des origines à 1914***Paris :Éditions Ophrys.

Bardin Pierre .(1979) . ***Algériens et Tunisiens dans l'Empire Ottoman de 1848 à 1914***Éditions du Centre national de la recherche scientifique.

bulletin de l'Afrique française .(1916) .L'action de l'Abdelmalek au début de l'année nouvelle février . *bulletin de l'Afrique française*.

Daniel Rivet .(1996) ***Lyautey Et L'institution Du Protectorat Français Au Maroc,1912-1925*** (1) Paris: Editions L'harmattan Paris.

HUBERT Jacques .(1927) . ***L'aventure Riffaine et ses dessous*** .Paris : impr. J. Bière.

Isaac J Assayag .(1978) ***Tanger: un siècle d'histoire*** . Tanger: Editions marocaines Et Internationales.

Pierre Lyautey .(1954) ***Lyautey l'Africain. Textes et lettres Du maréchal Lyautey***, V: 2, 1913-1915 .Paris: Edition Broché.

Zakia Daoud .(1999) ***Abdelkrim: une épopée d'or et de sang, Les Colonnes d'Hercule*** .Paris : Éditions Séguier.

للإحالة على هذا المقال:

- حواس محمد (2024)، « ثورة الأمير عبد المالك الجزائري 1915- 1924 ». المواقف، المجلد: 19، العدد: خاص، فيفري 2024، ص.ص 237-268.